# تحليل الخطاب وبرنامج الاشتغال في إطار
# التداوليات المدمجة

عليوي بنيونس, جامعة محمد الاول بوجدة - المغرب


| تاريخ الإرسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2018-03-14 | 2018-11-27 | 2018-12-13 |


**تقديم**

ينحدر توجه التداوليات المدمجة[1] من أصلين اثنين، أحدهما تمثله النزعة التداولية في التداوليات المدمجة والتي تولدت نتيجة إخفاق المقاربة الصورية الصارمة للظاهرة اللغوية، والثاني تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع رائدها شاييم برلمان (ChaimPerelman)وأولبيرتيتيكا (Lucie Olbechts - Tyteca) والتي بدورها ظهرت نتيجة إخفاق المحاولة الصورية لنمذجة الفاعلية التداولية. غير أن هذا الانتساب لا يعني الوفاء الحرفي لأطروحة هذه المدارس، فقد مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من الأطروحات لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس تداولي جديد مستقل بموضوعه ومتميز بخطة عمله، درس ينطوي على نضج نظري معتبر يوشك أن يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية في اللغة، ليلحقه بحظيرة الممارسة العلمية اللسانية المضبوطة.

لقد تمثلت مجاوزة التداوليات المدمجة للنزعة التداولية الكلاسيكية في جهود التنسيق والتدقيق للمشروع العام للتوجه التداولي في الدراسات اللغوية، فمعلوم أن المهمة التي سعت اللسانيات التداولية أو بالأحرى الدلاليات التداولية للقيام بها هي إدماج الوقائع التداولية في قلب الدرس الدلالي، بعدما كانت هذه الوقائع تعتبر في المنظورات الصورية مجرد معطيات خارجية لا تمت إلى موضوع اللسانيات الحقيقي بصلة، إذ تقصر هذه المنظورات



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظرها على البنيات الصوتية والتركيبة الطيعة لعمليات النمذجة والصوغ الصوري، حتى إن أحد أنصار هذه النزعة في اللسانيات المعاصرة لم يتحرج من وصف التداولية بكونها مزبلة اللسانيات.

إن حديث الدلاليات التداولية عن ضرورة إدماج الوقائع التداولية ضمن حقل الدراسة اللسانية في سياق ما عرف بالتداولية المدمجة، لم يكن في بداية أمره مشروعا واضح المعالم، بل كان مجرد أعمال متفرقة تقوم في أغلبها على اقتناص بعض الشواهد الخطابية التي تدلل على أن اللغة تتفاعل بوجه أو بآخر مع المعطى التداولي بعناصره المختلفة، من مقام التخاطب وسياقه وظروف الناطقين وأحوالهم...، ثم تعمل على تجليتها ودراستها بقدر من التوسع والاستيعاب، نذكر في هذا الباب على سبيل التمثيل، أبحاث إيميل بنفنيست(Emile Benveniste) حول الذاتية في اللغة، وإسهامات سائر أقطاب النظرية التلفظية، ونظرية أفعال الكلام، وتدخل في هذا الباب الدراسات المبكرة لأنسكومبر وديكرو التي كانت تندرج بدورها ضمن هذا الانشغال. والملاحظ أن هذه الأعمال لا يجمعها مشروع موحد ومنظور منسجم، وهو الأمر الذي كان من نتائجه ما يلاحظ من تضارب في الرؤى والتباس في المفاهيم جعل تأثيرها يظل محدودا نسبيا في الدرس اللغوي خلال عقود الستينات والسبعينات من القرن العشرين.

بخلاف ذلك جاء توجه التداوليات المدمجة مسكونا بهاجس التدقيق والتنسيق لهذا النوع من الدراسة، فكان التدقيق في تعيين موضوع الاشتغال الذي سيغدو محصورا في تلك المعطيات التداولية التي تنطبع في بنية اللغة، ومن ثم تتيسر معالجتها معالجة لسانية ملموسة، بل أكثر من ذلك سيصير هذا التوجه عنايته كلها إلى مظاهر أكثر تحديدا ضمن هذه المعطيات التداولية، وهي التي تتصل بالفاعلية الحجاجية. وكان التنسيق بتعيين الحدود النظرية لهذا التوجه، والخطة الدقيقة التي سيسير في ضوئها مشروع التداولية المدمجة في صورتها المدققة والمنسقة، والخطوات المضبوطة التي ستقود إلى تحويل التداولية من مجرد تأملات فلسفة عامة، إلى الاندراج في سلك الأبحاث العلمية الناضجة.[2]



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها:" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" وهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل، بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية، أي إن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمة والتركيبة والدلالية.

ومع تطور المشروع التداولي أوزفالد ديكرو سيغدو الحجاج هو المدخل الطبيعي لدراسة الأبعاد التداولية للغات الطبيعية، وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، وبعبارة أخرى فإن الحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.[3]

وهذا البحث يحاول أن يقدم صورة عن أهم القضايا التي جاءت بها مدرسة الحجاجيات اللسانية والتي يمكن أن نجملها في:

- التعريف بتوجه الحجاجيات اللسانية، وبالآليات التي يقدمها في التحليل من أجل استثمارها في قراءة مجموعة من النصوص والخطابات.
- بيان مظاهر المشاكلة بين الدلالة والتداول في تحليل الخطابات الإنسانية

## 1. في تحليل الخطاب

يُعدّ مصطلح "تحليل الخطاب" من المصطلحات التي دخلت مجال البحث العلمي والثقافة العالمية بتأثير من الدراسات اللسانية، وينسب هذا المصطلح إلى زليك هاريس Zellig Harris الذي عنون بحثًا له بهذا المصطلح سنة 1952، وإن كان قد نحا به منحى نحويًّا أبعده إلى حدّ كبير عن مفهوم "تحليل الخطاب" بالمعنى الشائع في اللسانيات الحديثة. لقد تطوّر مفهوم "تحليل الخطاب" تطوّرا سريعا، وأخذ ذلك أشكالا مختلفة أسهم في تنوّعها اختلاف خلفيات المحللين بين لسانيين ونقاد أدب، ودارسي الديانات المقارنة، ، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس. فبينما اهتم هاليدي Halliday وفان ديجك Van Dijk بلسانيات النص Text



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Linguistics؛ عرف شكلوف Schegloff وكوفمان Goffman وشريفين Schriffin باهتمامهم بتحليل المحادثة، وإن كان بول كرايس Paul Grice قد سبقهما إلى ذلك بمقاربته التداولية. وتميّز بوتر Potter وويثيرال Wetherell بالعناية بعلم النفس الخطابي Discoursive Psychology، وركّز لاكوف Lakoff وتانِن Tannen على المقاربة الإدراكية Cognitive Approach، أما لابوف Labov وتشيف في حين عرف دريدا Derrida بمنهجه التفكيكي، وفوكوا Foucault وإيكو Eco ولوتمان Lotman بالمنهج السيميائي.

على أن التداوليات المدمجة، قد كان لها منهجا خاص في تحليل الخطاب الطبيعي، فقد حاولت في البداية التركيز على المظاهر التداولية التي تقع داخل بنية اللغة، وذلك حتى يتسنى لها الحفاظ على قدر معقول من العلمية التي قعدت لها المدرسة البنيوية مع فردناند دي سوسير، لكن يبقى السؤال المطروح ما هي مداخل تحليل الخطاب حسب هذه المدرسة؟

## 2. مقدمات عامة حول الأطر النظرية للتداوليات المدمجة

### أ. نقد النزعة الصورية في الدراسات اللسانية مدخل إلى التداوليات المدمجة

يمكن القول إن نقطة البدء في مشروع الباحثين "ديكرو و"أنسكومبر"، هي المراجعة النقدية للدراسات اللغوية السابقة، وخاصة تلك التي أنجزت في النصف الأول من القرن العشرين، وامتد تأثيرها لاحقا في جوانب من البحث اللغوي واللساني وخصوصا في البحوث الدلالية. ومن بين هذه المراجعات نقد الاتجاه الصوري في الدراسات اللغوية الذي كان يقصي المظاهر التداولية من صلب الدراسة اللغوية، كما شملت المراجعات النقدية مفهوم التواصل عند فيردناند دي سوسير، فقد أكد هذا الأخير على أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، بينما حسب ديكرو فالوظيفة الإعلامية والإخبارية هي وظيفة ثانوية، وتبقى الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة الأساسية للغة حسب اتجاه التداوليات المدمجة.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**ب. نحو مشروع تداوليات المدمجة**

إن الخلاصة التي انتهت إليها نظرية أفعال الكلام الأنجلوساكسونية، ستشكل منطلق أعمال ديكرو وأنسكومبر في بناء النظرية الحجاجية اللسانية، ويشكل مفهوم الفعل اللغوي في المراحل الأولى من تطور هذه النظرية، مرتكزا للحديث عن الفاعلية التلفظية (ومن ضمنها الحجاج). ولكي يتبين بجلاء كيف تم وصل الحجاجيات اللسانية بنظرية الأفعال اللغوية نذكر بشكل مركز ذاك الميز الذي أقامه أوستين بين مظاهر ثلاثة يتضمنها الفعل اللغوي، وهذه المظاهر هي:

- **الفعل الكلامي**: وهو المستوى المتعلق بالإنجاز القولي مجردا عن أي قصد معين.
- **الفعل التكلمي**: والفعل التكلمي حسب أوستين هو الفعل الكلامي (الموصوف أعلاه) مصحوبا بقصد فعلي محدد يسعى المتكلم لإنجازه بواسطة الكلام.
- **الفعل التكليمي**: وهو المتمثل في التأثير الذي يولده لدى المخاطب، والوقع الذي يخلفه في وجدانه وسلوكه، سواء كان ذلك مقصود أو غير مقصود. (مثلا: الاقتناع، الرهبة، الشفقة...).

من هذا المنطلق يعتبر الملفوظ الحجاجي عموما (الملفوظ الحجاجي على وجه الخصوص) إنجازh لمظهر مخصوص من هذه المظاهر الثلاثة، هو الفعل التكلمي من حيث هو -كما أشرنا- إنجاز قولي مصحوب بقصدية معينة، وهو ما اصطلح عليه الدكتور رشيد الراضي بمفهوم التلفظ.4

**ج. مركزية فعل الحجاج داخل التداوليات المدمجة**

إن الدراسة التي سيباشرها ديكرو وأنسكومبر ضمن التداولية المدمجة تندرج ضمن النموذج الذي يتبنى إدماج الوقائع التداولية ضمن سيرورة الوصف الدلالي، غير أنها لن تشمل جميع المعطيات التداولية، ولكن سيكون التركيز منصبا على العناصر التي تندرج داخل المجال اللساني. ويمكن الجزم بأن مفهوم الحجاج داخل تيار



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحجاجيات اللسانية، مغاير تماما للتصور الكلاسيك للحجاج، فهو سيركز مع ديكرو ورواد الحجاجيات اللسانية، على البحث في البنية اللسانية للملفوظات الحجاجية.

### 3. معالم منهجية في عمل التداوليات المدمجة

#### أ. بين النموذج البنيوي السوسيري والتداوليات المدمجة

يعتبر التوجه البنيوي في الدراسات اللغوية مع رائده "فردناند دي سوسير" من أبرز المدارس اللغوية التي عرفها تاريخ الفكر اللغوي البشري في العصر الحديث، وذلك بمنهجها بالبنيوي القويم الذي أرسى معالمه العام "السويسري فردناند دي سوسير" في كتابه الذي صدر بعد وفاته دروس في اللسانيات العامة Cours de linguistique générale.

كان يلح ديكرو وأنسكومبر على الالتزام بمبدأ المحايثة، وما يقتضيه في سياق الدرس من قطع للصلة بين اللغة وما يمكن أن يرتبط بها من شروط خارجية ومتنوعة، ويشددان على أن دراسة الجمل أو الملفوظات يجب أن تتم في استقلال تام عن المتلفظ وما يتصل به من معطيات سيكولوجية أو اجتماعية ينبغي – في نظرهما– تركها خارج دائرة الاهتمام، على اعتبار أن مهمة البحث الدلالي ينبغي أن تنصرف إلى دراسة الخطاب حصرا، وتبتعد عن كل ما يتعلق بالموضوعات غير اللسانية، ومن ضمنها الوقائع التي يتحدث عنها هذا الخطاب.

من خلال هذا المنطلق يتبين بجلاء كيف يحضر النفس البنيوي داخل الحجاجيات اللسانية، وذلك بالدعوة الصريحة لرواد هذا الاتجاه إلى استبعاد كل المعطيات الخارجية التي لا تندرج ضمن الخطاب أو اللغة. ونجد مبدأ المحايثة الذي دعا ديكرو إلى التشبث به يعكس ما أكدناه سابقا.

فمبدأ المحايثة في التداوليات المدمجة هو امتداد للنقلة التي أحدثها دو سوسير في اللسانيات والعلوم الإنسانية بصفة عامة حين أعلن بوضوح أن الدراسة التي يباشرها تنصرف إلى اللغة "في ذاتها ولأجل ذاتها"، وتلتزم



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالعمل ضمن المشروع السيميولوجي العام الذي يتعين عليه أن يدرس العلامات باعتبارها انساقا لها استقلاليتها الخاصة وقوانينها المتميزة.[5]

إن هذا الالتزام الواعي باستحضار النفس البنيوي في صلب الدراسات الحجاجية، لا يشكل ملمحا عابرا، ويبدو ذلك جليا من خلال الأعمال التي كتبها ديكرو وأقطاب هذه المدرسة، ولا شك أن تطور الكتابة في حقل الحجاجيات اللسانية سيزيد الالتزام بالقواعد والمبادئ البنيوية في دراسة الحجاج داخل اللغة.

من هنا كان الرهان الأكبر للتداوليات المدمجة يصب في السعي الحثيث لتحويل الدرس التداولي الذي يوصف عادة بكونه عصيا على الصوغ البنيوي، ووثيق الصلة بالمعطيات المقامية والسياقية الخارجية، إلى درس يتخذ من بنية اللغة موضوع اشتغاله بدل الانكباب على هذه المعطيات المختلطة التي لا تمت بصلة إلى الظاهرة اللغوية في حدودها الفعلية، بل ولا تشكل في ذاتها موضوع علميا يتمتع بحد أدنى من الانسجام والوحدة اللتين بدونهما لا تكتسب المادة المدروسة شرط التحول إلى موضوع علمي يمكن مباشرة بطرائق المعالجة العلمية المتعارفة. وقد أعلن ديكرووأنسكومبر في كثير من المناسبات على نحو صريح هذا الوفاء للمدرسة البنيوية السوسيرية، وخصوصا في الكتابات المتأخرة. ففي مقال استرجاعي لمسار هذا التوجه، يذكر ديكرو أن أحد الأهداف التي كان الدرس الحجاجي اللساني يتطلع باستمرار إلى تحقيقها يتمثل في إنجاز وصف دلالي للجمل يتسق مع الإطار العام للبنيوية السوسيرية، هو ما يفسر ذلك الرفض الحاسم لأي وصف قد يلحق الوحدات اللغوية بوحدات خارجة عن اللغة.[6]

هكذا كان الهاجس العلمي يشكل الوعاء الذي تشتغل ضمنه الحجاجيات اللسانية، وذلك عندما عمد رواد هذا الاتجاه إلى استبعاد كل المظاهر غير اللغوية التي تراعي مقام التخاطب وسياقاته، والتي جعلت الدرس التداولي لفترة طويلة محط مساءلة وذلك لكثرة المعطيات المختلطة داخله، والتي لا تمت بصلة إلى الظاهرة اللغوية في حدودها الفعلية.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المعلوم أن اللسانيات البنيوية قد اختصت نفسها بميزة أساسية، وهي اعتمادها على المنهج الوصفي من أجل وصف العلامات اللسانية وصفا داخلا نسقيا بنيويا، يقطع مع كل المعطيات الخارجية التي لا تنتمي إلى بنية اللغة، وذلك بالعمل على إسناد قيم لسانية خاصة لهذه الوحدات المتكونة من الدال والمدلول، وهما المصطلحين اللذين استعملها دو سوسير للتعبير عن العنصرين التكوينيين لكل علامة لسانية، وهما الصورة السمية والتصور الذهني. لكن يبقى السؤال إلى أي حد نجد ترجمة لهذه الفكرة في إطار اشتغال التداوليات المدمجة؟

وقد وجد ديكروانسكومبر نفسيهما مدفوعين بتوجيه من التقاليد التوليدية التي كانت تمثل النموذج العلمي المهيمن في مجال اللسانيات إبان فترة السبعينيات، إلى التسليم والقبول على نحو تلقائي باعتماد الجملة أساسا للدراسة الدلالية، أي الوحدة الدنيا للوصف الدلالي والتي سيتم النظر إليها بوصفها قاعدة لهذا الوصف تحتل موقعا مناظرا للموقع الذي تحتله العلامة في اللسانيات السوسيرية، ومن ثمة يتعين أن يتم إسناد المدلول إليها، وهذا المدلول هو بالذات ما يصطلح عليه « بالدلالة» في الحجاجيات اللسانية[7]

لكن إذا كانت اللسانيات السوسيرية قد وجهت العناية للبحث في قيمة العلامة اللسانية، وقد أخذت عنها التداوليات المدمجة في هذا الباب موجهة هي الأخرى عنايتها لقيمة الجملة، معتبرة هذه القيمة تتحدد في انطلاقا من علاقتها بالوحدات الأخر التي تشترك معها نفس النسق، فالتساؤل الذي قد يتبادر إلى الذهن هو ما هي طبيعة العلاقة التي سيتم استحضارها في هذا الباب؟

لا شك أن اللسانيات البنيوية عندما عالجت العلاقة التي تحكم نسق العلامات اللغوية، قد ميزت بين نوعين من العلاقات، أولهما العلاقات التراكبية الأفقية وهي التي تسمح بتأليف العلامات فيما بينها، والعلاقات الاستبدالية العمودية وهي التي يتم على مستواها استبدال علامة مكان أخرى. لكن التداوليات المدمجة لم تنسج على هذا المنوال بشكل حرفي، لأن ذلك سيؤدي تلقائيا إلى الخروج على روح المنهج البنيوي، لأن البحث في



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحور والعلاقات الاستبدالية بين الجمل سيؤدي إلى استحضار المعطيات الخارجية، وهو خروج صريح على فضاء المعالجة اللسانية البنيوية.

من هنا سيتجه البحث في العلاقة التراكبية وحدها، لأنها- دون غيرها- تتضمن هذا الوفاء للمنهجية البنيوية ولإجراء المحايثة لها.[8]

هكذا يتبين أن التداوليات المدمجة قد نهلت من المنهج العلمي البنيوي، الشيء الذي يجعلنا نجد مجموعة من مظاهر الاتفاق بين البرنامج اللساني السوسيري التداوليات المدمجة، التي تظل وثيقة الصلة بالطابع العلمي اللساني، وذلك من خلال تعدية المهمة التي أنجزها دو سوسير في مجال العلامات اللسانية إلى مجال الخطاب منظورا إليه بوصفه نسقا من الجمل.

وهذه الفكرة ستحظى لاحقا بتعميق أكبر من قبل تلاميذ ديكرو، وعلى رأسهم الباحث "ماريون كاريل"، حيث سيتم اعتماد هذه الفكرة أساسا لمراجعة مسار هذا التوجه و إعادة توجيه بوصلة نحو الدراسة الدلالية الخالصة.

### ب. برنامج الاشتغال في إطار التداوليات المدمجة

لقد وضع أنسكومبر وديكرو مجموعة من الضوابط العلمية حول كيفية الاشتغال في إطار الحجاجيات اللسانية، وذلك حتى يدمج مبحث الحجاج في الدراسة اللغوية بصورة محكمة حيث يتعين على الدراسة أن تأخذ بمنهج التمثيل، وهو منهج ظل يحكم مجموع النشاط العلمي في الغرب منذ ديكارت، ويعتبر النحو التوليدي مع تشومسكي، شاهده الأمثل في القرن العشرين، إذ يرى أقطاب هذا النحو أن مهمة العلم الحديث لا تتمثل في تجمع وتصنيف الوقائع والمعطيات الجديدة، و إنما يجب بناء نظريات عامة، ونماذج فرضية تنطلق من عدد محدود من الملاحظات أو التجارب، و تسعى إلى تفسير الوقائع المعلومة والتنبؤ بوقائع جديدة، و في هذا الصدد يعلن



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديكرو"سوف أصف بـ "العلمية" البحث الذي يحاول أثناء تفسيره للظواهر الملاحظة في الطبيعة، أن يضع تمثيلا مصطنعا للكيفية التي تنتج بها هذه الظواهر.9

### ج. الفرضيات الخارجية للتداولية المدمجة

بالنسبة إلى هذه الفرضيات، سوف تتولى الآلية الاصطناعية الخاصة بهذه الظواهر في النموذج المصنع المعدل توليد بنيات مماثلة لها إسناد دلالة للجمل، وهنا تبرز الطبيعة العلمية النظرية لعملية إسناد الدلالة إلى الجمل، فالجملة ليست هي الملفوظ لأنها ذات طبيعة نظرية مجردة، أو بعبارة أخرى، إنها تنتمي إلى اللغة الواصفة (النموذج المصنع هنا)، أما الملفوظ فله وجود واقعي محقق في حياة الناس اليومية.

### د. مفهوم الإرشادات والإرشادات الحجاجية

فمفهوم الدلالة حسب هذا التوجه ليس جزءا من المعنى، بل هو مجموعة من الإرشادات، فما المقصود بمفهوم الإرشادات؟

يعرف ديكرو الإرشادات في كتابه كلمات الخطاب بأنها عبارة عن مجموعة من التوجيهات تقدمها الجملة لأولئك الذين يهمون بتأويل ملفوظ معين من ملفوظاتها، وتطالبهم في البحث في وضعية الخطاب عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في إعادة بناء المعنى المقصود من المتكلم، وفي سياق تعيين وضيفة هذه الإرشادات أيضا نجده يقرر في كتابه القول والمقول: إن الإرشادات تقوم بتعيين الخطوات التي ينبغي اتباعها لإسناد معنى لهذا الملفوظ أو ذاك من ملفوظات الجملة التي تتضمن هذه الإرشادات. وعلى هذا الأساس تكون دلالة الجملة هي خلاصة إرشاداتها، أي تلك الإرشادات التي تتضمنها هذه الجملة والتي تمكن المخاطبين من إسناد المعنى لملفوظاتها، أي حين ترد هذه الملفوظات في سياقاتها الاستعمالية المتنوعة، وكذلك يكون المعنى الذي يمكن اشتقاقه من هذه الجملة (المعبر عنه في صورة ملفوظات) متعددا ومتغيرا بحسب الأوضاع والسياقات المتغيرة أيضا.10



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعد مفهوم الإرشادات من المفاهيم التي تضفي الصبغة العلمية على نظرية التداوليات المدمجة، وذلك لأنها تبعد المعطيات الثقافية ومعطيات أخرى توجد خارج بنية اللغة، عن صلب اشتغال هذه النظرية.

وتعتبر هذه الإرشادات، مفهوما بديلا أخذت به التداولية المدمجة حتى تتفادى القول بمفهوم "قوانين الخطاب" لأنه يبعد المجال اللساني البحث، ويجعلها تنساق خلف معطيات ثقافية ومقامية توجد خارج بنية اللغة.

وقد حاولت التداوليات المدمجة تجسيد روح هذا المنهج، خاصة عندما أكد رواد هذا الاتجاه على أن المشتغل بالدلاليات التداولية لا ينبغي أن يدرس الأقوال والتلفظات مباشرة، وإنما يتعين عليه استحضار هذه الظواهر انطلاقا من دراسته لكينات نظرية يتم وضعها باعتبارها تمثلات لهذه الظواهر.

## 4. البنية الدلالية وتحليل الخطاب في التداوليات المدمجة

تنتشر الحجاجيات اللسانية في الخطاب بصورة مكثفة وتتجلى عبر مجموعة من العناصر اللسانية الخالصة، من روابط وعوامل معجمية وبنيات تركيبة وهذه العناصر وغيرها كانت موضوع بحث واستقصاء ضمن المنظور الدلالي البنيوي للحجاجيات اللسانية منذ الأعمال المبكرة لأنسكومبروديكرو مع مطلع السبعينيات، والذي يطالع هذه الأعمال في تسلسلها يكتشف أن الباحثين كانا ينتقلان تدريجيا إلى إلتماس ما يمكن أن نصطلح عليه "بمواطن الحجاجية" في الطبقات الأعمق من الجمل أو الملفوظات اللغوية حتى انتهى بهما الأمر في مرحلة من المراحل إلى القول بأصلية الحجاجية مقارنة بالإخبارية التي تبقى بعدية وفرعية، ويتجلى هذا الأمر في الأبحاث المتأخرة نسبيا والتي كانت تروم تأسيس الحجاجيات اللسانية على مفهوم الموضع ذي الأصول المنطقية في الجدل الأرسطي، بحيث تصير كل فاعلية لغوية محكومة ببرهان إقناعي يعكس طبيعتها الحجاجية، أو إذا أردنا استثمار عبارة ديكرو يمكن القول إن كل فاعلية لغوية هي بالضرورة فاعلية دعائية أو ترويجية.[11]

لذلك سنحاول في هذا المقام تتبع بعض الظواهر التي تم تأطيرها وتأويلها ضمن هذا الوصف الدلالي الحجاجي، بداية بالوقوف مع نظرية السلميات الحجاجية، بعد ذلك ننتقل إلى وقفة مع مفهومي العوامل والروابط



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحجاجية، في علاقتها بنموذج المواضع الحجاجية، لنختم بلمحة نتوقف فيها مع التطورات التي انفتحت عليها هذه المدرسة خاصة نظرية الكتل الدلالية، التي شكلت إحدى أهم التطورات الجديدة في اتجاه الحجاجيات اللسانية، خاصة بعد المحاورة التي أقامها ديكرو وبعض تلامذته لمجموعة من التصورات داخل هذه التوجه، ففتحت هذه التطورات الجديدة آفاقا أرحب في اتجاه الحجاجية اللسانية بعد إعادة توجيه بوصلته للبحث الدلالي.

### أ. الأسس العامة لنظرية مراتب الحجاج

تعتبر مسألة مراتب الحجاج ظاهرة لغوية اتخذت صبغة خاصة مع انبثاق الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة، وقد اختلف التخصصات التي تناولت هذه المسألة، فقد تناولها المنطقي، واللساني والرياضي والمتفلسف، وما يهمنا هنا في هذا المقام، هو ارتباط المسألة السلمية في الخطاب، باتجاه الحجاجيات اللسانية، هذه الأخير التي استغلت ما قدمته الدراسات المبكرة التي أنجزت في السلميات الحجاجية، فكان أن صاغتها وأدرجتها بشكل نسقي ضمن اتجاه الحجاجيات اللسانية، حتى أصبحت نظرية مراتب الحجاج من أهم المباحث التي قدمتها الحجاجيات اللسانية.

وقد اشتغل عليها كل من أوزفالد ديكرو وأنسكومبر في مجموعة من الأبحاث التي قام بها الباحثين، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر مقالة ديكرو : "مراتب الحجاج"، و"العوامل والقصد الحجاجي" وفي العمل الذي أنجزه باشتراك : "الحجاج داخل اللغة".

كما أن أنسكومبر أيضا قد تطرق لهذه المسألة في مقالاته: "حتى ملك فرنسا أصلع" و"كانت ذات مرة أميرة فيها من الحسن مثلما فيها من اللطف"[12] وغيرها من الأبحاث التي أسست لمسألة السلمية داخل اتجاه الحجاجيات اللسانية.

ونشير ههنا إلى أن المراتب تتخذ عند توجه الحجاجيات اللسانية شكل مراتب موجهة توجيها قصديا.

فما المقصور بهذا الكلام؟



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**المراتب الموجهة توجيها قصديا:** قد تدخل المراتب، لا على الألفاظ وحدها، بل كذلك على الجمل، فيكون قصدُ المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجمل، مثال ذلك أن يقصد المتكلم التوقف عن العمل متى شعُر بالملل وبالأَوْلى متى غلب عليه النوم، فالقولان: "شعر المتكلم بالملل" و"غلب على المتكلم النوم" هما بمثابة مرتبتين متفاوتتين بينهما بموجب القصد الذي للمتكلم في التوقف عن العمل؛ واختص بالنظر في هذا المراتب اللسانيان الفرنسيان: "ديكرو" و "أنسكومبر".[13]

ومما يميز مراتب الحجاج الموجهة توجيها قصديا، اتساع آفاقها الاستدلالية، وهذا ما سيتبين من خلال تتبع بعض القوانين التي تضبط مراتبه، وعلى الاستدلالات الحجاجية التي ينبني عليها.

**أولا: تعريف السلم الحجاجي**

**السلم الحجاجي:**هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.[14]

أي أن الحجج مرتبة بشكل تراتبي داخل السلم الحجاجي، فكل حجة تقع ضمن السلم يلزم عنه ما يقع تحته، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

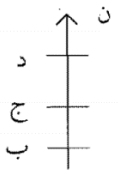


ن = النتيجة



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ب" و "ج" و "د":حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة.[15]

ويتبين ذلك أكثر في الرسم الآتي:

نا [زيد من أنبل الناس خلقا]

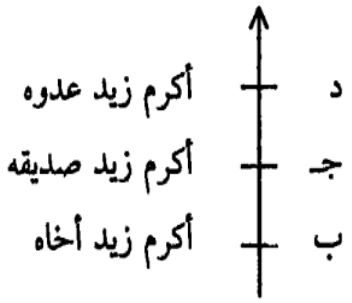


فحينئذ القول د يلزم عنه القول جـ الذي يلزم عنه بدوره القول ب كما أن د هو أقوى إثباتا للمدلول نا من جـ الذي هو بدوره أقوى إثباتا لهذا المدلول من ب.»[16]

بمعنى أن الجمل تتضمن حجاجا ينتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي أيضا إلى نفس السلم، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "كرم زيد"، ولك القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وإكرام زيد لعدوه هو بالتالي أقوى دليل على كرم زيد.

### ب. ثانيا: قوانين السلم الحجاجي

تعتبر قوانين السلم الحجاجي مسألة بالغة الأهمية ضمة المسألة السلمية في الحجاجيات اللسانية لذلك سنعمل على إيرادها هنا بشكل مختصر ويفي بالغرض.

**قانون الخفض:** مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنه نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها[17]



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللتمثيل على ذلك نستعين بالأمثلة التي أوردها أبو بكر العزاوي وهي كما يلي:

"يوضح قانون الخفض( Loi d'abaissement) الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة :"Moins que " فعندما نستعمل جملامن قبيل :

الجو ليس باردا

لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الأول) أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني). وسيؤول القول الأول على الشكل التالي:

إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أوحار

وسيؤول القول الثاني كما يلي:

لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية.فلا تندرج الأقوال الإثباتية (من نمط "الجو بارد") والأقوال المنفية(من نمط "الجو ليس بارد) في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي.

**قانون تبديل السلم:** مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنه نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها؛ وقد نضع له الصيغة الرمزية التالية:

$$(\text{با} \Leftarrow \text{نا}) \Leftarrow (\neg \text{با} \Leftarrow \neg \text{نا})$$[18]

**قانون القلب:** مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول؛ وقد يتخذ هذا القانون الصيغة الرمزية الآتية:[19]



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[(با ⇐ نا) > (جا ⇐ نا)] ⇐ [(¬ جا ⇐ ¬ نا) > (¬ با ⇐ ¬ نا)]

ونستعين بالمثالين التاليين لتوضيح المقصود:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

رغم أن الظاهرة السلمية كانت مفيدة في الكشف عن الكثير من الوقائع الحجاجية في الخطاب، ومن ثم أسهمت في تعزيز الأطروحة المركزية للتوجه الحجاجي اللساني، وهو ما جعلها تحتل ركنا أساسيا ينصرف إليه قدر كبير من الجاهد النظري لرواد هذا التصور، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور بعض الثغرات التي ظلت تعتور الوصف الذي اقترحه ديكرو وأنسكومبر لهذه الظاهرة، مما جعل هذا التصور يتعرض لنقد صارم من قبل بعض الدارسين، وقد دفع هذا النقد بالباحثين إلى إجراء بعض التعديلات في جوانب من وصفهما لهذه الظاهرة، بل وفي جوانب من النظرية ككل[20]

### ج. الروابط والعوامل والمواضع الحجاجية

تتبوأ الروابط والعوامل والمواضع الحجاجية مكانة مهمة ضمن اتجاه الحجاجيات اللسانية، بل إن النظرية الحجاجية اللسانية في جوهرها تقوم على دراسة هذه العوامل والروابط الحجاجية في علاقتها بالمواضع، لذلك سنحاول في هذا المبحث أن نفردها بالبيان والتوضيح.

#### أولا: العامل الحجاجي



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكن أن نعرفه بأنه:صريفة (مورفيم) إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، يؤدي ذلك إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.[21]

ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر، ندرس المثالين الآتيين:

الساعة تشير إلى الثامنة.

لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا... إلا"، وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها. فإذا أخذنا القولين الآتيين:

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

فسنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا، ويتطلب سياقا خاصا وأكثر تعقيدا حتى نستطيع تأويله، وبعبارة أخرى فهو يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

**ثانيا: الرابط الحجاجي**

قد يظهر أن الرابط الحجاجي يحمل نفس المعنى الذي يدل عليه العامل الحجاجي، إلاأنه هناك فرق بينهما وذلك ما سنلاحظه من خلال تعريف الرابط الحجاجي.

إن الرابط الحجاجي هو صريفة تصل بين ملفوظين، أو أكثر جرى سوقهما في إطار الإستراتيجيةالحجاجية نفسها. ومثال ذلك:

هذا الحفل ناجح، على كل حال فالمادة الغنائية ممتعة.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي المثال السابق، تحقق الحجاج بفضل الرابط الحجاجي، "على كل حال" لأن وروده في هذا الملفوظ أدى إلى توليد طاقة حجاجية إضافية، كما مكن من ربط بين ملفوظين حجاجين ربطا تساندیا، جعلهما يتجهان معا إلى تعزيز النتيجة المضمرة نفسها من قبيل" الوقت لا يمضي دون فائدة"، كما أن وجود هذا الرابط في الملفوظ، يؤدي إلى تقديم إرشادات تحدد وجهته الحجاجية، ومن الإرشادات الخاصة بهذا الملفوظ، أن المتكلم يوشك أن يرفض بعض الحجج التي تتجه لإثبات نتيجة مغالية من قبيل "هذا أنجح حفل حضرته هذه السنة" فهناك وضع حجاجي أقصى لا يسمح هذا الملفوظ بتخطيطه، ويتمثل في دفاع المتكلم عن نجاح الحفل، وكونه يستحق الحضور لا أكثر، فهذه المعلومات هي إرشادات يلمح إليها الرابط الحجاجي، فتحدد طبيعة الفعل الحجاجي الذي ينجزه المتكلم.»[22]

وما يجب التأكيد عليه هو أن الرابط، يربط بين وحدتين دلاليتين.

### ثالثا: الموضع الحجاجي

تعتبر المواضع الحجاجية من المفاهيم المركزية داخل نظرية الحجاج اللساني، بل إنها شكل في مرحلة من مراحل تطور النظرية مرتكز من مرتكزات التحليل التي تعتمد عليها نظرية الحجاج داخل اللغة، خاصة بعد تراجع التركيز على مفهوم الرابط والعامل الحجاجيين في مرحلة من مراحل الدرس الحجاجي اللساني، وقد أفرد مفهوم الموضع بدراسات خاصة تبين أهمية داخل النظرية، ودراسات أخر تبين النقد الذي تعرض إليه مفهوم الموضع داخل هذا التوجه خاصة مع تلامذة ديكرو الذين حاولوا تطوير هذه النظرية على المستوى الدلالي، لكننا في هذه الوقفة سنقتصر على بيان مفهوم الموضع بشكل موجز يفي بالغرض في هذا المقام.

إن المواضع هي بمنزلة الآليات التحتية التي تسمح بإنجاز النشاط الحجاجي في اللغة، وذلك من خلال العلاقة التي تنسجها مع العامل أو الرابط الحجاجيين، ويعرف "مويشلير" الموضع، بكونه قاعدة عامة تمكن من إنجاز نشاط حجاجي جزئي غير أن هذه الطبيعة العامة للموضع الحجاجي، لا تعني أن له علاقة بقواعد



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستنباط الطبيعي أو بالقياس المنطقي (السيلوجيسم)، ففي هذين الشكلين الاستدلاليين يكون الانتقال إلى النتيجة أمرا لزوميا تفرضه الصورة الاستدلالية الصحيحة التي يقومان عليها، أما في الحجاج فإن الانتقال من المقدمات إلى النتائج يستند إلى المواضع، والمواضع لا تستمد مقبوليتها من صورتها الاستدلالية، وإنما من ارتباطها بالآراء المشتركة العامة.[23]

انطلاقا من هذا تعريف نتساءل عن الوظيفة التي يؤديها مفهوم الموضع داخل نظرية الحجاج اللساني؟

وظيفة الموضع تتمثل في تحقيق التأليفات الخطابية، فالترابط الحجاجي بين الملفوظات إنما يتم على قاعدة المواضع، وليس استنادا إلى طبيعة الوقائع الخارجية... هكذا إذن سيصير الموضع هو القاعدة التي تضمن النقلة من الملفوظ الحجة إلى الملفوظ النتيجة، يقول أنسكومبر: "لقد طرحنا المواضع عموما باعتبارها ضمانات للتأليفات الخطابية. فإذا كان بالإمكان الانتقال من الملفوظ م1 إلى الملفوظ م2 فإن ذلك يتم بفضل تدخل حد ثالث هو الموضع الذي يسمح بإقامة ارتباط بين هذين الملفوظين"[24]

على هذا الأساس يمكنا القول بأن المواضع هي أساس التأليفات الخطابية داخل نظرية الحجاج اللساني.

وتتميز المواضع الحجاجية بمجموعة من الخصائص نوردها اختصارا كما يلي:

فهي عامة وترتبط بالرأي العام والمشترك، وتنطوي على طبيعة تدرجية.

## 5. التطورات الجديدة في الحجاجيات اللسانية ومركزية التحليل الدلالي

### أ. في نقد مفهوم الموضع

لقد أشرنا في المبحث السابق إلى أن استثمار الحجاجيات اللسانية لمفهوم الموضع سيصطدم هو أيضا بمجموعة من العقبات ستؤدي في آخر المطاف إلى التخلي عنه وإزالته من البناء النسقي للنظرية، وبالفعل فإن هذا الحماس الكبير تجاه مفهوم الموضع سوف تكون له ضريبة فادحة على هذا التوجه، ولن تفلح التقويمات



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتعديلات المرحلية[25]، من الحد من تفاقم المشاكل التي طرحها استعمال هذا المفهوم داخل النظرية، مما سيؤدي برواد هذا التوجه إلى التصريح بعدم الاعتماد على مفهوم الموضع في تفسير بعض القضايا اللغوية.[26]

هذا بالفعل ما نجد الحديث عنه في الأعمال المتأخرة لهذه المدرسة التي تطالعنا في ثناياها دعوة واضحة إلى الاكتفاء باستثمار هذا المفهوم استثمارا عاما في قضايا تحليل الخطاب دون التعويل عليه في النظرية الدلالية، بعبارة أخرى سيتم فك الارتباط بين مستوى الدلالة الجملية والمواضع التي ستكف عن التدخل في هذا المستوى، أي إن التأليف بين مسلسلات الجمل ومن ثم تحديد القيمة الدلالية لن يظل كما كان في السابق قائما على الوظيفة القاعدية للمواضع، إذ سيصبح من اللازم البحث مرة أخرى عن آلية جديدة تحقق هذه المهمة.[27] وما يجب الإشارة إليه هو أن التخلي عن مفهوم الموضع هو حضور بعض الوقائع الخارجية عن بنية اللغة التي فطن إليها رواد هذا الاتجاه حينما جعلوا نظرية المواضع مرتكزهم في تحليل جملة من القضايا اللغوية.

إن هذا الحضور للواقع في الوصف اللساني هو الذي سيشكل نقطة التحول في مسار الحجاجيات اللسانية، فعلى الرغم من الجهود المتواصلة لتنقية النظرية من كل ما يتصل بمعطيات الواقع الخارجي وقصرها على دراسة الخطاب ولا شيء غير الخطاب، فإن المراجعة ظلت تكشف أن الواقع يحضر في كل مرة بصورة أو بأخرى في ثنايا النظرية، مما يهدد المشروع الأصلي لهذا التوجه، وهو كما بينا ذلك، إتمام البرنامج البنيوي المتمثل في دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، يقول ديكور:

إذا كانت المسلسلة الخطابية تجسد بالفعل عملية حجاجية، وإذا كانت هذه الأخيرة قائمة على الموضع الذي يربط خاصيتين من العالم، وإذا كانت الحجة والنتيجة في المتوالية الخطابية تعبران على التوالي عن الخاصيتين اللتين تشكلان مقدم الموضوع وتاليه، فينبغي التسليم بأن الكلمات والجمل من اللسان تدل على مجالات من الواقع، وهذا بالضبط ما نسعى إلى تفاديه"[28]



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذا المآل الذي آل إليه مفهوم الموضع داخل نظرية الحجاجيات اللسانية، لن يتوقف عند هذا الحد، بل إن تأثيره سيكون واضحا على النظرية في كليتها، فحتى الفكرة الجوهرية التي يرتكز عليها هذا التوجه، والقائلة بفكرة الحجاج داخل اللغة سوف تصبح محط مساءلة ومراجعة، من طرف رواد هذا التوجه أنفسهم.

وقد حاول ديكرو في أواخر أبحاثه أن يقيم ميزا بين الحجاج الخطابي والحجاج اللساني، في محاولة أخرى جادة إلى تحول الحجاج اللساني إلى بحث دلالي خالص ينهج نهج سوسير في التزامه الصارم بالمنظور البنيوي.

إن الفكرة القاعدية (يقصد لهذا المنظور الجديد) هي أنه في المسلسلة الحجاجية "ح إذن ن" نجد أن معنى "ح" يتضمن في ذاته ما يشير إلى أنه يستلزم النتيجة لكي يكون تاما. وهكذا فإن معنى "ح" لا يمكن تحديده في انفصال عن كون "ح" ينظر إليها باعتبارها تقود إلى "ن"، فليس هناك إذن نقلة بالمعنى الدقيق للكلمة من "ح" إلى "ن"، ليس هناك تعليل لـ "ن" بالملفوظ "ح" بالوجه الذي يمنح هذا الأخير مدلولا قائما في ذاته مستقلا عن "إذن ن"، ومن ثم ليس هناك إبلاغ لحقيقة، أو إبلاغ لصفة المقبولية انطلاقا من "ح" في اتجاه "ن"، ما دامت هذه المسلسلة تعرض الفقرة "إذن ن" كأنها كانت متضمنة في الفقرة الأولى "ح".»[29]

فالتركيز في المنظور الجديد الذي أخذت به الحجاجيات اللسانية، يعطي الأهمية الكبرى للبحث الدلالي الصرف، أي إن العلاقة الوحيدة القائمة بين التأليفات الخطابية هي علاقة دلالية خالصة، وعليه يتم استبعاد سائر المعطيات الخارجية، رغم إبقاء لفظة الحجاج بمعناه اللساني الجديد.

### ب. مفهوم الحجاج في التصور الجديد للحجاجيات اللسانية

لقد كان لتلامذة ديكرو الدور الكبير في إعادة تصويب بوصلة اتجاه الحجاجيات اللسانية إلى سكته الصحيحة، أي الاهتمام بدراسة الحجاج اللساني الذي يستبعد كل الاستنتاجات التي



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقع خارجة اللغة، وذلك من خلال البحوث التي قاموا بها إما مع ديكرو أو على انفراد وتعد "ماريون كاريل" من أبرز الباحثين الذين كان لهم الدور البارز في هذه المسألة خاصة بالدراسة التي قامت بها بمعية ديكرو، ودراسة أخرى منفردة، دافعت فيها عن بعض التصورات التي أصبحت الأن تمثل المسار الجديد لهذا التوجه.

إن الحرص على بنيوية الحجاجيات اللسانية، واستبعاد كل معطيات العام الخارجي عن بنية اللغة، شكل خلال حقب تكون هذا التوجه، دافعا لمراجعات كل الأفكار الجوهرية داخل النظرية من أجل الحرص على أن تبق هذه النظرية ذات طابع علمي متميز، الشيء الذي لم يسلم منه حتى مفهوم الحجاج الذي يشكل مدار الحديث داخل هذا التوجه لذلك سنعمل على تبيين وتوضيح مدلوله داخل هذا التوجه الجديد.

إن مفهوم الحجاج الذي آخذ به لا علاقة له بمفهوم الاستنتاج. فهذا الأخير يستند كما هو معلوم على فكرة النقلة، حيث يقوم ملفوظ من الملفوظات (الحجة) في سياق هذه النقلة بتعدية صدقيته إلى ملفوظ آخر (النتيجة)، بينما يفترض المفهوم الذي آخذ به وجود صلة بين الفقرتين (أي أنه يفترض غياب الاستقلال بينهما)، ففي نظري لا وجود لأي ازدياد في المعلومات داخل مسلسلة حجاجية. فالرأي المتفاعل هو ذاته إما في صورة امتدادية أو في صورة عنادية. ومن ثم فإن الحجاج في نظري لا علاقة له بفاعليتنا النفسية إذا كانت فاعليتنا النفسية من طبيعة استنتاجية. نعم أقول إذا كانت فاعليتنا النفسية من طبيعة استنتاجية. لكن ما طبيعة فاعليتنا النفسية؟ في الواقع لا علم لي بذلك، فاللسانيات التي أباشرها تسعى إلى أن تكون بنيوية، فأنا لا أضع فرضيات في ما يخص الفكر.[30]

إن هذا الذي عبرنا عنه بغياب الاستقلال بين الملفوظين، سوف يصطلح عليه من طرف كاريل بـ الكتل الدلالية (bloc sémantique) وهو المفهوم الذي سيأخذه به ديكرو أيضا، وسيشكل نقط البداية لإعادة بناء توجه الحجاجيات اللسانية بنفسها البنيوي الذي يقوم على مبدأ المحايثة، وعلى ضرورة تخليص الدرس الدلالي من كل ارتباط بمعطيات ذات صلة.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

## ج. نظرية الكتل الدلالية وتحليل الخطاب

### أولا: نظرة في المفهوم

تعد نظرية الكتل الدلالية مع "ماريون كارل" دراسة موسعة وتصحيحية لنظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو، فهي نظرية أيضا دلالية للغة الطبيعية وتطوير للنموذج الأصلي المتعلق بالحجاج في اللغة. كما أنها مقاربة تقنية جديدة تبتعد عن القواعد الصورية الحسابيةللمعنى، أسست لمفاهيم جديدة خاصة بالحجاج الخارجي والداخلي، وطور أيضا مفاهيم التحليلات التي قدمها ديكرو في نظرية " التعدد الصوتي "(TAB)[31].

فضمن نظرية الكتل الدلالية يتم التحكم في المعنى اللساني بطريقة مستقلة بواسطة نسق اللغة والدلالة، والتي تهم فقط الوحدات ذات الطبيعة اللسانية. حيث لا تعود الكلمات في النظرية إلى الوحدات المعرفية، ولكن إلى الخطابات الحقيقية، كما أن الملفوظات لا تصف حالات الأشياء، ولكن تصف أثر الخطابات الحجاجية الواقية.

لقد عملت كارل على تنظيم مشروعها في إطار مفهوم " التشبيك أو التلاحم الحجاجي" المتعلق بالمعجم والخطاب والكتل الدلالية. وحددت آليات التحليل تخص كل من نظريات الحجاج ونظرية التعدد الصوتي، تميز بين البعدين الحجاجي والتلفظي للنظريتين. حيث يكون عمل اللسانيات حسب هذا التوجه "هو تنظيم آليات التحليل الدلالي"[32]

إن الأعمال التي قدمتها كارل والتي تظل امتدادا ومراجعة لأعمال ديكرو تجمع بين "البعد التقني الذي يحدد أنساق المفاهيم التي تسمح بتحليل دلالات الكلمات ومعنى الملفوظ، والبعد النظري الذي يسمح ببناء تصورات تقوم على نظرة دقيقة للغة والمعنى والتلفظ".[33] وتطرح هذه الدراسة مقاربة وصفية تقوم على التجانس المعرفي.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإشارة فإن الأصول النظرية لمقاربة كارل تعود إلى نظرية بناء الخطاب بالنسبة لنظرية التعدد الصوتي ونظرية المحتوى بالنسبة لنظرية الكتل الدلالية، وهي تضع قطيعة مع المقاربات التقليدية التي تعتبر دراسة التلفظ شيئا ثانويا وهامشيا مقارنة بدارسة المحتوى، وتعتبره الجزء غير التمثيلي لمعنى الملفوظ. وتقوم قناعة الرفض والقطيعة عند كارل والتي تؤسس لبنائها الدلالي، على نظرتين:

- النظرة الأولى تعتبر الملفوظ لا يعبر عن تمثل العالم الخاضع لقيمتي الصدق والكذب، ولكن يعبر عن المحتوى الحجاجي غير خاضع للتحليل الصدقي.

- النظرة الثانية تعتبر التلفظ حسب تصورها ظاهرة خطابية بامتياز لا ينبغي خلطها مع قصد المتكلم الذي يركز على المحتوى.

ويمكن فهم الكتلة الدلالية على سبيل المثال في التمييز بين المؤشرين الظرفين "سابقا و"ثانية أو مرة أخرى "، فكلاهما لهما علاقة بحدث أو واقعة ما وزمن منقض. حيث نجد أن مؤشر "سابقا" يشير إلى شيء ما ينتج زمن شبه تام، فحين يشير مؤشر "ثانية" إلى شيء ما لا ينتج زمنا يحمل كمية كبيرة من الزمن المنقضي.

عموما يجمع مشروع كارل بين الاهتمام ببنية التلفظ ، التي تفرض على المتكلم في أغلب الحالات "**عبء تحمل محتوى التلفظ** "بمعنى التأليف المنظم لموضوع التكلم، وبنية المحتوى الدلالي الذي يهم كل الكلمات والملفوظات والنصوص، التي يتم تأليفها عبر محمولات حجاجية يمكن أن تحمل **روابط معيار**مثل:" إذن ، لأن، إذا ، لو..." **و روابط التعدية** مثل: "لكن ، رغم أن، حتى وإن..." غير أن هذه المحمولات الحجاجية مقابلة للمحمولات المنطقية ، لكن لا يتم وسمها بقيمتي الصدق أو الكذب ، فهي في بنائها عبارة عن نظام "**لخطاطة حجاجية** " أو " **اختزالية حجاجية**" ، بمعنى "بنية مجردة لعملية التكلم و اختيار محدد و مدقق للروابط ومراتب الحجاج المختلفة، و أيضا للزمن النحوي."[34]

**ثانيا: نظرية الكتل الدلالية وآفاق الاشتغال**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد شكلت نظرية الكتل الدلالية إطارا علميا جديدا، فتح الباب أمام الحجاجيات اللسانية من أجل التموضع في مصاف النظريات العلمية المتميزة.

«إن أهم ما تؤكده نظرية الملتحمات الدلالية في نظر كاريل هو أن العلاقة بين وحدات الخطاب المتضامة في المسلسلات الحجاجية هي بالأحرى علاقة اختصار (وهو ما عبر عنه ديكرو بالوصف والتأشير...)، فلو أخذنا أي عبارة وردت في هذه المسلسلة فإننا سنجدها تتضمن في ذاتها، وعلى نحو مضمر، تلك الوحدات التي يفترض أنها تقبل التأليف معها في مسلسلات حجاجية، فهذه الوحدات كامنة في تلك العبارات، لأن هذه الأخيرة ما هي إلا صورها المختزلة التي يمكن بسطها عبر إجراء التأليف، وهذا الإجراء يسمح بتمديد هذه العبارات وتحويلها من صورة مختزلة إلى مسلسلات مطولة.»[35]

وقد ساعدت نظرية الملتحمات الدلالية في توسيع القاعدة التأويلية التي يتم اعتمادها في تحديد دلالة الوحدات (كلمة أو عبارة أو ملفوظ).

وقد أشارت كاريل إلى أن أهم إضافة قدمتها نظرية الملتحمات الدلالية في سياق وصف هذه البنية التأليفية ضمن توجه الحجاج داخل اللغة تتمثل في توسيعها للقاعدة التأويلية التي يتم اعتمادها في تحديد دلالة هذه الوحدات، أي تلك القاعدة التي تنهض عليها التأليفات الحجاجية وتضمن الارتباط بين وحدات المسلسلات الحجاجية.

وهذا التوسيع سيجعل نظرية الملتحمات الدلالية أخف تقيدا من النسخ السابقة لنظرية "الحجاج داخل اللغة /ADL"[36]، بما في ذلك النسخة الموضعية ...، ما دامت هذه النظرية جديدة تفتح آفاقا للتأليف الخطابي أوسع مما تتيحه العلاقة الحجاجية المضيقة في صورتها التقليدية كما نجد ذلك في منظور(ADL) وبالتالي تضع بين أيدينا أدوات أنجاز لإنجاز الوصف البنيوي للخطاب.[37]

**خاتمة**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كنا نهدف من خلال هذه الورقة تحقيق جملة من الأهداف والغايات، التي تتلاءم والعرض المدخلي للتداولية المدمجة، عند أنسكومبر وديكرو والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:

- التعريف بتوجه التداوليات المدمجة، باعتبارها مدرسة معاصرة في الدرس الدلالي والتداولي.
- بيان المداخل الأساسية التي يعتمدها رواد هذه المدرسة في تحليل الخطاب.
- التأكيد على حضور فعل الحجاج داخل الأنساق اللغوية للغات الطبيعية، وعلاقته بالدلالة والتداول في هذا التوجه.
- الانفتاح على التطورات الجديدة في هذه المدرسة، و نقل بعض المعارف التي توصل إليها رواد هذا إلى اللغة العربية.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

## فهرس المصادر والمراجع

- المراجع العربية

❖ كتب


- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.
- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة 1، 1998.
- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014.
- رشيد الراضي، الملخص التنفيذي لكتاب المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة 1.
- صابر حباشة، التداوليات مدخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، الطبعة1، 2008.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط-المغرب، الطبعة1.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقياالشرق.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي،بيروت، الطبعة الأولى ، 2001.


❖ المعاجم


- إبراهيم مصطفى، أحمد حسين الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، الطبعة 2، مادة (ح ج ج) .
- جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الإفريقي المصري الطبعة1، 2000.


❖ المجلات


- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 34، الكويت، 2005.





المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005.
- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم فكر الكويت، المجلد 40،دسمبر.
- عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته مجلة المخبر، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، العدد: 09 جامعة بسكرة.الجزائر، 2013.

- **المراجع الأجنبية**

- Anscomber, J. C., et Ducrot. O, "L'aegumentation dans la langue" in Langages, Volume 10, 42, 1976
- Anscomber, J. C., "Même le roi de France est sage, un essai de description sémantique" in communications, Volume 20, Numéro 1, 1973.
- Carel, Marion, « Qu'est-ce qu'argumenter ? », in Logo : Revista de retorica y teoria de la Communication, année 1, no 1.
- Ducrot. O., Dire et ne pas dire : principe de sémantique linguistique, Hemann, paris, 1972
- Ducrot. O., Le Dire et le dit, Editions de Minuit, Paris, 1984.
- Ducrot. O., Le Echelles argumentatives, Editions de Minuit, paris, 1980
- MambelliMambelli, "Carel, Marion (dir). 2012, Argumentation et polyphonie. 1 De Saint Augustin à Robbe-Grillet" (Paris :L'Harmattan). Argumentation et Analyse du Discours2014.

## إحالات البحث

1 نصطلح على امتداد هذه الورقة بمفهوم: "التداوليات المندمجة" على توجه بعينه في الدرس الحجاجي المعاصر هو التوجه الذي دشنه الباحثان الفرنسيان أوزفالد ديكرو (O.Ducrot) وجون كلود أنسكومبر(J.C , Anscombre)، على أنه قد نصطلح عليه بمفهوم الحجاجيات اللسانية عندما نتناول الحديث على علاقة هذا التوجه بفعل الحجاج.
2 رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014، ص:9 وما بعدها- بتصرف
3 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة،الطبعة الأولى، 2014، ص:73
4 رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص: 27 وما بعدها
5 المرجع نفسه،ص: 51
6 المرجع نفسه، ص: 52
7 نفسه المرجع، ص: 53
8 رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية الصفحة: 54
9 رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 34، الكويت، 2005، الصفحة: 222
10 المرجع نفسه،ص: 62
11 الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص:89 -بتصرف-
12 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط-المغرب، الطبعةالأولى،1998، ص:274
13 المرجع نفسه،ص: 275 بتصرف



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14 المرجع نفسه،ص:277
15 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2014،ص:26
16 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:277
17 المرجع نفسه،ص:277
18 المرجع نفسه،ص:278
19 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:278
20 الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، 2014، ص:131
21رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص:101-102
22 رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 34، الكويت، 2005، ص: 235-236
23 شيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 34، الكويت، 2005، ص:237
24 رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص: 200
25 ومن ضمنها التمييز بين الصورة الموضعية الداخلية، والصورة الموضعية الخارجية.
26 أكد رواد هذه النظرية أنهم سيستمرون في استثمار مفهوم الموضع، لكنهم أكدوا بأن الأمر لن يظل كما في السابق، أي إن هذا المفهوم سيكف عن أداء دور الآلية التحتية التي تفسر التأليفات الخطابية، ومن ثم لن يبق عنصرا مكونا في نظرية الدلالة ضمن هذا التوجه
27 الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014، ص: 227 -228
28 رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص: 223
29 رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص:224
30 Marion Carel, « Qu'est-ce qu'argumenter ? », op.cit, p :80
31 الصيغة الاختصارية لنظرية "المتحمات الدلالية" Théorie Des Blocs sémantiques
32 MambelliFrancesca, "polyphonie. De Saint Augustin à Robbe-Grillet (Paris :L'Harmattan). Carel, Marion (dir). 2012, Argumentation et Argumentation et Analyse duDiscours P :22014.
33bid. P : 3-33
34 Ibid, p : 4
35 رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص:227
36 الصيغة الاختصارية لنظرية "الحجاج داخل اللغة" Argumentation dans la langue
37 رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبروديكرو، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص: 227-228


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com